الولية لالة المنوبية من خلال مخطوط " مناقب عائشة المنوبية" للشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)

أ.د. نبيلة حساني•

يزخر التاريخ الاسلامي بذكر أسماء العديد من المتصوفين الذين كان لهم تأثير كبير في مناحي الحياة، ارتأينا أن نقف أمام تصوف نسائي لنظيره الرجالي في المغرب الإسلامي، متصوفات كانت لهن مشاركة إلى جوار إخوانهم من رجال الصالحين، حتى نظهر أن للمرأة قدرات عظيمة عندما تؤمن بالله واليوم الأخر، فهي كذلك تصنع الكرامات والبركات، نساء متصوفات يطلق عليهن لقب الوليات، أمثال:أم الزين البهلية التونسية، وأم سلام القيروانية(ت٦٧٠هـ/١٢٧٢م)، ولالة سيتي التلمسانية، ولالة مغنية، وعائشة المديونية التلمسانية، وأم الفتح (ت٧٢٤هـ/١٣٢٤م)[١] ، وغيرهن كثيرات....

خلّف المتصوفين من الرجال والنساء إنتاجا علميا وفيرا في مختلف العلوم العقليّة والنّقليّة، لكنّ تلك المؤلفات، لا يزال أغلبها على شكل مخطوط، ممّا يستدعي العمل على تحقيقها و نشرها.

و موضوع هذا البحث السيدة الولية عائشة المنوبية (ت ٦٥٣هـ/ ١٢٥٧م)، شيخة المتصوفات المغرب الاسلامي في القرن السابع الهجري الرابع عشر الميلادي، وصاحبة مناقب الذي يحمل إسمها **" مناقب عائشة المنوبية "**؛ الّذي اشتهر بكونه كتابا يظمّ مناقب الولية الصالحة، بينما هو في الواقع موسوعة شاملة لمختلف العلوم والمواضيع المهمّة، مثل علم الاجتماع، والتراجم، والتاريخ الاجتماعي وجب علينا اولا تقديم عرض للمحتوى الكامل للمخطوط ، الذي ينقسم الى خمسة أقسام هي كما يلي:

القسم الأول: في تعريف باسمها ونسبها.

القسم الثاني: فيما يختص بالسيدة من الخصال و ما يليق بها .

القسم الثالث: في ذكر ملح و نوادر مستطرفة رويت عنها .

القسم الرابع: في محاسن الكلام المستعملة في النثر و النظم.

توجد العديد من النّسخ من هذا المخطوط، منها نسخة بالمكتبة الوطنيّة التونسية، تحت رقم ٢٥٣٦ والتي بها حوالي ٢٣ لوحة في القسم الثاني من المخطوط المراد بالدراسة والتحقيق، بمقياس ٣٠ سم و حوالي ٣١ سطر في كل ورقة، ولسنا نعلم هل توجد نسخ أخرى في مكتبات أخرى، هذا ما نسعى إليه بالبحث والتقصي المستمر.

من حسن الحظ أن الكتاب المخطوط كان للسيدة المنوبية الصالحة أوعائشة المنوبية[٢]، وأنها سيدة تونسية عرفت بالتواضع والبركة والحنانة والعفة، هي بنت الشيخ أبي موسى

•جامعة الجزائر ٢

[١]- ابن مرزوق: **المجموع**، و ٢٦ .

[٢]- الشاذلي: **مناقب عائشة المنوبية**، و١٩.

عمران بن الحاج سليمان المنوبي، وأمها فاطمة بنت عبد السميع ومولدها في منوبة (غرب تونس العاصمة)، وقد تحدث عنها ابن الصباغ عندما جمع ثمانين شخصية ولائية هم جملة مشائخ الشرف، وتوقف عند سبع نماذج من المتصوفات النسائية، على أنهن جميعا ينتمين إما إلى الفترة الموحدية، وإما إلى صدر العهد الحفصي بحيث كن إما من مخضرمات القرنين السادس والسابع الهجري/١٢و١٣م أو من المنتميات إلى القرن السابع الهجري/١٣م.

كانت عائشة المنوبية صالحة، متعبدة، حسنة الخلق، لها جمال وحسن فائق وإذا نظر إليها الناظرون يفتنون"[٣].

فقد نص المؤرخ الباجي على أن"عائشة بنت موسى المنوبية، وأعطى لوفاتها نفس التاريخ الذي تذكره سيرتها النموذجية ولكن دون أن يذكر مصادره في ذلك، ورجح الأستاذ النيال اعتمادا على نقيشة أثرية تم العثور عليها خلال تسوية مقبرة القرطاجي بتونس بأن الولية عائشة بنت موسى بن محمد توفيت ١٦ شعبان ٦٥٣هـ/ ١٢٥٧م[٤]، وذهب الأستاذ سعيد غراب استناداً إلى بعض النسخ من مخطوطات مناقبها إلى أنها عائشة بنت أبي موسى عمران بن سليمان المنوبي[٥]، وكل ما وصلنا منها من نسخ قد تم اختطاطه في تاريخ لاحق لوفاتها، فإن محرر مناقبها هو" أبو الحسن علي ابن عبد الله بن بلال الشاذلي" إمام جامع منوبة، باعتباره من معاصريها، لاسيما أن هذه الرواية قد انتقلت من ثقافة المشافهة والسماع إلى ثقافة التدوين والتقييد بالخط.

ولعل أول ما يلفت الانتباه في سيرة وليتنا بظاهرة الكرامة احتفالا لافتا إذ تتوزع هذه السيرة مناقب السيدة في حياتها ومناقبها في مماتها ولكن أيضا مناقبها قبل أن تأتي إلى هذا العالم، فقد روى محرر مناقبها" أنها كانت في بطن أمها وهي حامل بها فخرجت لبعض حوائجها، وإذا بأسد واقفٌ في الطريق فخافت منه، وإذا بعائشة تكلمت في بطن أمها، وقالت لها:" لا تخافي يا أماه أنت محفوظة بحفظ الله"، وهذه عينة من ثمانين كرامة، أجريت لها وهي في بطن أمها[٦].

كما تنفرد " مناقب المنوبية " دون غيرها من المصادر الأخرى بإعلان انتساب الولية إلى التيار الشاذلي في التصوف لقولها:" أنا شاذلية وقطبة أقراني"[٧]، وإن كانت معاصرة لأبي الحسن الشاذليت٦٥٦هـ/١٢٥٨م، فإن المصادر المنقبية المتصلة بالفترة لا تنص عليها في عداد أصحابه[٨] وبالتالي فالمسألة بحاجة إلى الإثبات لاسيما أن مناقبها

---

[٣]- الشاذلي: **مناقب عائشة المنوبية**، و١٧.

[٤]- النيال ، م س، ص٢٥٣.

[5]- GHRAB (S) **:IBN ARAFA et le Malikisme en Ifriqiya au 8h-14**, Tunis,1992, P 68

[٦]- الشاذلي: **مناقب**، و ٤ أ .

[٧]- نفسه، و٣.

[٨]- فابن الصباغ لا يذكرها في كتابه "روض العارفين" في فضل مناقب الصالحين الذي ترجم للأربعين من رفاق الشاذلي المشهورين ولا أشار في مصنفه " درة الأسرار" إلى تتلمذها المحتمل

تعلن تتلمذها لكل من رابعة العدوية (ت٥٦١هـ /٨٠١ م)، وعبد القادرالجيلاني (ت٥٦١هـ/١١٦٥م)، وعمر بن الفارض (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) فضلا عن أبي الحسن الشاذلي الذي أعطاها الطريقة، وقال لها:" أنا أوليتك طريقتي، وأعطاها علمه وصبره"[٩]، مما يمكن أن يحمل على أساس أنه انتماء روحي وإرادة انتساب أكثر مما يمكن أن يحمل على أنه ارتباط تاريخي الأمر الذي يدعم أكثر متى وقفنا على هوية محرر مناقبها المحتمل وهو مثلما تعلن عنه نسبته داخل في سلسلة الشاذلي الولائية ومن ثمة فلا بدعة أن يحشد في المدرسة الشاذلية للتصوف " أعلام الأولياء و قادة الأتقياء"[١٠] فما بالك بأنموذج ولائي من طراز الولية عائشة المنوبية كما يمكن أن يحمل على أساس أنه بحث من نفسها أو على الأقل إضفاء نوع من مشروعيتها خاصة أنه كانت في أشد الحاجة إليها أمام تنامي موجة الانتقاد لسلوكاتها والاعتراض على ولايتها[١١]، وأنكر بعض العلماء مبيتها مع الرجال، ثم "تخاطب الرجال و يخاطبونها وليس لها زوج"[١٢] هذا ما لا تستسيغه القيم الذكورية في تلك الفترة، وكانت تفصل بالضرورة بين النساء والرجال وتحجر عليهما كل اختلاط، واعتبرت مجنونة ومن ثم فقد رفع عنها القلم، فوصفها الفقيه أبو عبد الله محمد الأروي إمام جامع الصفصافة بأنها "امرأة ظاهرها جنون وباطنها فنون"[١٣]، والظاهر أن سلوك عائشة المنوبية جعل ولايتها موضع جدل واسع وذلك ما نلمسه من خلال ما يمكن أن نصطلح على تسميته بجدلية الاعتقاد والانتقاد التي خضعت لها سيرتها النموذجية، ولعل شدة الاعتراض على النموذج الولائي الذي تجسده من قبل الأوساط الفقهاء يفسر حشد خطاب المناقب لكل المرعيات التي من شأنها أن تكرس مشروعية ولايتها ويبرز في الآن نفسه علاقتها المتوترة مع الفقهاء فيستحضر في تأكيد هذه المشروعية أنها أخذت المثل الأعلى المحمدي لقولها:" رأيت رسول الله(صلى الله عليه وسلم) خمسا وعشرين مرة في البداية وخمسا وعشرين مرة في النهاية وخمسا وعشرين مرة في الكمال وخمسا وعشرين مرة في تمام السرور، وقال لي وكلمني وسقاني بيده وصافحني أنا قطبة الأقطاب"[١٤]، وأضافت مصرحة في بعض مفاخراتها بأنها "ممن درس في الكتب والعلوم وممن قرأ في سالف الدهور"[١٥]، وأخذت علمها الأزلي عبر تتلمذها لنوح وآدم وشيت وداود وسليمان وموسى وعيسى

عليه أثناء المرحلة التونسية من مسيرة حياته مما يجعل هذا التتلمذ مدعاة للشك ويجعل انتماء السيدة المنوبية إلى المدرسة الشاذلية مشكوك فيه ، م س، و١٩ .

[٩]- نفسه، و ٤ أ .

[١٠]- الشاذلي: **مناقب**، و ٤ أ

[١١]- نفسه،ص٣.

[١٢]- نفسه،ص٣.

[١٣]- نفسه،ص٣.

[١٤]- الشاذلي: م س، و ٦ أ .

[١٥]- نفسه، و ٧أ

وشعيب، وأخذت المثل الأعلى الراشدي ممثلا في تتلمذها المفترض لأبي بكر الصديق أعطاها وفاءه، ولعمر بن الخطاب أعطاها عدله، ولعثمان بن عثمان أعطاها حياءه، ولعل أبي طالب أعطاها علمه وزهده ووقاره وشجاعته[١٦]، والمثل الأعلى الولائي التقى بها في ليلة واحدة سبعمائة وسبعون وليا "أخذوا عنها العهد وتأدبوا بين يديها وولتهم الطريق "[١٧]، وقدمها عبد القادر الجيلاني على طريق القوم، وتأدب بين يديها، وشهد لها بتفوقها ألامتيازي في مجال الولاية جعلها حلية الأولياء، وقال لها:" أنت ذهب والأولياء فضة والولي إذا كان فضة ما زينته إلا الذهب"[١٨]، وانتهج أبو الحسن الشاذلي معها نفس المسلك،حتى تدرك السيدة كمال الولاية لينعقد لها بذلك مطلق السلطة على العالمين يجعل خطاب المناقب بلوغها مرتبة القطب، وهي أقصى درجات الولاية،منعقدا بإجماع " عشرة آلاف ولي قدموها وقالوا لها:" أنت قطبتنا قدمناك ورفعنا لك البيعة "[١٩]، ولم تحظ بهذا الإجماع من الأولياء إلا بعد أن تلقت العلم الذي،تماما مثلما هو الشأن بالنسبة إلى النبوة، بواسطة أحد الملائكة لم يكن جبريل حامل الوحي هذه المرة وإنما ميكائيل[٢٠]، يصحبه في ذلك الخبر نقيب الأولياء" أتاها ميكائيل والخضر وفي أيديهما بوقال مملوء من الجنة وقالا لها اشربي فشربت في تلك الشربة العلم والحلم واليقين والخشوع والتواضع والبركة والحنانة والعفة والصيانة"[٢١]، لقد استجمعت في شخصيتها الولائية إجمالا كل خصال القدوة القيمة والسلوكية وكل الامتيازات التي حظي بها الأنبياء والرسل أجمعين والقيم المثلى التي تجسد المثل الأعلى الولائي وهي الخصال التي لن تكتفي فقط بإضفاء المشروعية على ولايتها وإنما سترتقي بهذه الولاية إلى مرتبة الكمال الإنساني والإنسان الكامل على حد تعبير الجيلاني نسخة من الحق وإن الله تعالى حي عليم قادر سميع بصير متكلم وكذلك الإنسان[٢٢].

هكذا فرضت السيدة نفسها على الجميع قطبة الرجال وقطبة الأشراف، قطبة الأقطاب وفارسة الإخوان، بل قطبة الزمان[٢٣]، فقد أعلنت عائشة المنوبية عن ارتفاعها عن المنزلة الإنسانية بثماني مائة درجة إلى الحد الذي لم تكن رابعة العدوية تمني نفسها فيه، لو أدركت موضعها، إلا بخدمتها والوقوف بين يديها، ويبدو أن ما كان لوليتنا من قدرات خارقة أو على الأقل ما تنسبه إليها سيرتها النموذجية من ذلك قد جعل تدخلاتها

---

[١٦]- نفسه،. و ٨ .

[١٧]- نفسه، و ١٢ .

[١٨]- نفسه، و ١٥.

[١٩]- نفســه ، و ١١.

[٢٠]-

[٢١]- ميكائيل: ملاك موكل بالأمطار والبحار و الأنهار والأرزاق من المال والبنين وتصوير الأجنحة في الأرحام، لمزيد من التوسع، ينظر، ابن منظور : م س، ص١٦٨.

[٢٢]- الشاذلي: **مناقب** ، و ٦ أ .

[٢٣]- تفسه، و ١٢ .

تتضاعف إما انتصارا للضعفاء والمقهورين، وإما انتقاما من الظلمة والجبارين بحيث تشكلت شخصيتها بمظهرين:[٢٤] مظهر الولية المبهرة ومظهر الولية المرهبة، وانحياز عائشة المنوبية للفقراء والمظلومين عامة يبرز بشكل صارخ في قسم لا يستهان به من كرامتها ينيف عن ربعها ويتجلى هذا الانحياز بالقوة من خلال ابتهالاتها كما في قولها:**"**اللهم صلي على محمد حبيب اليتامى ومؤنس الفقراء والمساكين وأنيس الغرباء**"**[٢٥]، كانت الولية مع ورعها تعيش على التوكل إلا إنها كانت ترصد كل دخلها للمحتاجين، فقد ورد في سيرتها أنها" كان كل يوم يدخل لها خمسمائة دينار تصرفها في سبيل الله وإذا بات ناصري تقول الليلة باتت عبادتي ناقصة**"**[٢٦].

نستنتج من خلال مراجعتنا لمناقب عائشة المنوبية أن الخطاب المنقبي يريد أن يكرس الولية أنموذجا ولائيا أعلى ليس في المغرب الاسلامي فحسب، وإنما أيضا داخل المجال الإسلامي العام، الذي كان محتكرا فقط على الرجال في مجتمع ذكوري يكرس دونية المرأة، هو بذلك انتصار بالقوة للمرأة على مجتمع يستدنيها ويهمشها ويقصيها بالفعل، وإنما يستعلي أيضا حتى على أبرز أعلام التصوف النسائي داخل المجال الإسلامي العام.

كان الناس تعتقد في مقدرة الولية الصالحة على تحقيق الرغبات والحاجات وقد يلجأ خدام الولي الصالح أو الموالين له إلى دعوة النّسوة بإطلاق المثل(زوروا تنوروا)[٢٧]، ويتضح من خلال هذا المثل أن الولية خيّر يمكنها أن تساعد المريضة أو التي لديها مشاكل، مما يضفي على الولية المنوبية صفة القداسة والتقدير، فكانت الزيارة تقوم أساسًا على التبرك بالضريح للاعتقاد في قدراته الخارقة في حّل المشاكل والعراقيل والمظالم، وتقوم كذلك على المزار الوعدة أو الحضرة ـ وكان الناس عامة والنسوة خاصة لا تمر احدهن على ضريح الولية، إلا زارها أو ألقى التحية على القبر، وقرأ ما تيسر من القرآن أو التسبيح أو مسح بالقبر[٢٨].

ولسنا نعلم سر مواصلة زيارة نساء اليوم للولية الصالحة والتبرك بها، والتوسل والتقرب بها إلى الله عزّ وجلّ، مستمرًا سواء في الأيام العادية أو في المناسبات الدينية، وأننا نتساءل لو قرأ عامة الناس كتاب السيدة الولية الذي مازال فى رفوف الخزائن، وأدركوا مناقبها، لأدركوا بأن الولية المنوبية صاحبة العقلية الفذة والنظرة الأمينة النفاذة

---

[٢٤]- تفسه، و ١١ .

[٢٥]- الشاذلي: م س ، و ١١ .

[٢٦]- نفسـه ، و ١١ .

[٢٧]- عبدالشكور نبيلة: **المرأة في الأمثال في المغرب الاسلامي**، ص ١٩.

[٢٨] -نذكر على سبيل المثال لا الحصر أشهر أضرحة بلاد المغرب الإسلامي منها: في مدينة تونس نذكر ضريح سيدي علي أبي يوسف الدهماني (ت ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م) المتصوف الجليل صاحب الكرامات العظيمة، ذاع صيته في المهدية والقيروان وتونس، ينظر: **الأسرار الجليّة في المناقب الدّهمانية**، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس.

التي ربطت بين المسائل الدينية والدنيوية، واهتمت بشؤون العامة و النساء بالخصوص،مما جعل كتابها ينفرد بمسحة فريدة من اتساع الأفق والعمق الفكري.

وقد أعلمنا الكتاني" أن من أعظم نعم الله علينا، وأكبر آياته ليدينا وجود الأولياء الصالحين وظهورهم وظهور أضرحتهم، وفي ذلك من المنافع والفوائد ما لا يدخل تحت خص، فمن الفوائد في ذلك وجود البركة في الأرض وكثرة النفع وإدرار الرّزق، إذ لولاهم ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها ولا صبّ البلاء على أهل الأرض صبّاً [٢٩] "، ترى هل اكتشفت النساء سرّ ذهابهن إلى الأضرحة ؟ وهل كنّ يجدن في ذلك متنفّسًا للضغط الممارس عليهنّ داخل بيوتهنّ ؟ أو ردّ فعل للتحجّب التي كنّ يعانين منها ؟، وحتى نجيب عن تساؤلاتنا قمنا بزيارة ضريح الولية الصالحة " لالة عائشة المنوبية بتونس.. ، وتتميّز الزّيارة بطابع مثير عند بعض النّساء: حيث تأتي المرأة إلى ضريح الولي أو الولية مهزومة، ومحطمة المعنويات، وتتقدم نحو المزار بخشوع ثم تضع يدها على القبر أو كسوته، وتتمسح بأهدابها، وتأخذ في شرح مشكلاتها والكشف عن ذائقاتها، شاكية متضرعة سائلة الولي أن يأخذ بيدها ويساعدها على تحقيق مرادها وأحيانا يأخذ الأسى بها مآخذ فتلطم خدّها وتفقد وعيها، أو تتظاهر بفقدانه، وترتمي على الأرض وتقوم بحركات هستيرية مثيرة للشفقة، وتأخذ في الصراخ والعويل والبكاء، فمنهن من تمسك بيدها، ومنهن من تمسح لها دموعها، ومنهن من تعيد وضع منديلها على رأسها .

ويستمر المشهد إلى أن تنخار قواها، ويعود لها وعيها وتنهض ببطء، وتلتحق بباقي الزائرات اللواتي يفسحن لها الطريق، وتأخذ مكانًا بينهنّ، وتحاول كلّ منهنّ أن تعرف أكثر عن مشكلاتها، فتحكي لهنّ الأحداث بتفاصيلها مُدرفة الدموع أحيانًا وشاكية إلى الله والي أو الولية وداعية على غريمها أو غريمتها تارة أخرى، وتقدم لها الزائرات حلولاً كثيرة لا ترفض أيًّا منها، وأن كانت زيارة بعض المشعوذات أو الراقيين، على أن تختار فيما بعد وبدون شك ما تراه الأنجع.

ولا تقدم الزائرة الهدية للولي أو الولية إلا إذا تحقّق مرادها، منهنّ من تأتي بالذبيحة وتهيئ الطعام وتقدمه للزوار(الصّدقة)، ومنهن من تقدم هدايا ونقودًا[٣٠].

ويعتبر ضريح الولية بذلك تجمعا تلقائيا للنساء يمكنهن التعبير فيه عن شعورهن بالسخط بكل حرية، ويسمح لهن بالصراخ العالي، والبكاء، وتشعرن فيه بالطمأنينة والحماية والتعاطف، فالطمأنينة عندما تدخل السكينة عندما تقاسم الأحزان من طرف الزائرات.

---

[٢٩]– الكتاني: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ط، حجرية ،١٣١٦هـ/، ج١، ص٢٤.

[٣٠]- الشاذلي: **مناقب السيدة عائشة المنوبية** ، و ٣، ٧، ٩ .

هكذا، كان حال وسلوك النساء عند زيارتهن لأضرحة الأولياء، ويبق السؤال..، كيف كانت ممارستهن في تعظيم الأولياء الأحياء؟، وجدنا الإجابة شافية لتوضيح هذا النوع من الطقوس والممارسات من خلال **مخطوط "** مناقب الولية عائشة منوبية **"**، فقد حددنا ثلاث مجموعات من الممارسات والطقوس للدخول في طريقة الشيخة على قاعدة وظيفة كل منها، حيث هناك :

ـ **مجموعة أولى،** طقوس الدخول في طريقة الشيخة الولية منوبية والمتمثلة في (معاهدة، مصافحة، مبايعة، لبس الخرقة والطاقية).

. **مجموعة ثانية،** ذات الوظيفة المسارية (initiatique) والمتمثلة في (تفل في الفم، سقاية ورضاعة).

. **ومجموعة ثالثة،** ذات الوظيفة الشفائية والمتمثلة في (تفل، رقية ومسح).

ويتم ذلك بـ :

أ ـ بعض طقوس وممارسات الدخول في طريقة الشيخة منوبية:

* المعاهدة:[٣١]

وفحوها تتمثل في:

ـ دخول المقام.

ـ الصلاة ـ ركعتين الأولى بالفاتحة .

ـ استقبال القبلة.

ـ نطق بالتعهد.

ـ يعاهد الولي بواسطة مد اليد إليه.

*المصافحة:[٣٢]

ـ الأخذ باليد والتصافح مثلها (السيدة).

ب ـ بعض الممارسات السارية (Initiatiques) وتتمثل في :

* التفل في الفم:[٣٣]

لقد وقفنا على حالتين من التفل في الفم، فقد ورد في مناقب السيدة المنوبية الحالة الأولى في النّوم "... فرآها في المنّوم فبصقت فيه فرزقه الله تعالى العلم من غير قراءة وفتح الله عليه بعلم الظاهر والباطن " .

والحالة الثانية في الصّحو" ... ثم قالت له افتح فاك فتفلت فيه تفلة فالله من حينه مزّق ثيابه وخرج هائمًا في البراري والقفار..."، قال فخرجت هائمًا بمكاشفتها "

* السقايـة[٣٤]:

---

[٣١]- الشاذلي : **مناقب عائشة،** و ٣.

[٣٢]- نفسه، و ١٤.

[٣٣]- نفســه ، و٥.

[٣٤]- الشاذلي : **مناقب عائشة،** و ٦.

أمّا عن حالات السقاية المنسوبة غليها فجميعها ذات بعد مساري نستعرضها بإيجاز" ومن قولها ضمن مفاخراتها: "(...)، أتاني ميكائيل والخضر وفي أيديهما بوقال مملوء من الجنة وقالا لي اشربي يا عائشة يا منوبية، فشربت في تلك الشربة العلم والحلم واليقين والخشوع والتواضع والبركة والحنانة والعفة والصيانة " وفي موضع آخر(...)، رأيت رسول الله وسقاني بيده "، قالت يا عثمان حل فاك فحللت فمي فسقتني بوقالا بالماء فشربت فمن تلك الشربة كملت السر والولاية ".

وجاء في مناقبها كذلك " كان في يدها بوقال من ماء فسقتني منه ففتح الله عليّ بعلم الظاهر والباطن هذا من بركتها"، وكذلك" وإذا بها أخرجت من تحت ردائها لوزا سقته، منه وإذا به غائب على حسّه وانهدر منه ومن فيه ماء أبيض كرغوة الصابون وشق السبخة كلها وكأنه سهم".

جـ ـ بعض الممارسات الشفائية ، منها:

* التفل[٣٥]:

ينسب التفل إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم حيث أوصى أصحابه بالتفل والتعوذ دفعًا لمضرة رؤيا، واضعًا بذلك نسقًا محددا في القيام بهذه الممارسة، لقد وقفنا في" مناقب عائشة "على حالة استعملت السيدة عائشة التفل لشفاء أحد المصابين في رجله(هو عثمان حداد أحد أبرز تلاميذها التي تخصه مناقبها بالذكر عديد المرات، يبدو أنه المكنى بـ: بوقبرين)[٣٦]

قال:" ثم تفلت على رجلي فالله منذ تفلت عليها قد ذهب عني ما كنت أجده من الوجع، ثم قالت قبل الله زياركم وقضى حاجتكم ".

والملفت هنا، أن شفاء المريض وقع تأويله من طرف الولية بأنه علامة رضا الله وقبوله لزيارة المريض، وأنه هو[الله سبحانه وتعالى] الذي قضى له حاجته أما الولية هنا فلم تكن سوى الواسطة.

ولسنا ندري إلى أي مدى صحة هذه الطرق الشفائية، علما أن هذا النوع من التداوي لا زال مستمرا إلى يومنا هذا.

---

[٣٥]- نفسه ، و ٧، ٨، ٩.

[٣٦]- نفسه ، لم أقف على تعريفه.

* من الكرامات المنسوبة إلى عائشة المنوبية: (٣٧) [٣٧]

بالإمكان تبويب هذه الكرامات حسب التصنيف الذي اعتمدناه على النحو التالي

نـــوع الكرامـــة	عددها	المصـــــدر
إنزال الغيث وإخصاب الزرع	١	مناقب عائشة: و١٦
فك الأسـر.	١	و ١٧
إغـــاثة المسافرين	٢	و ٢٠ ، ٢٤
الإبـــــراء	٣	و ٦٥، ٧٠، ٣٠
تأمين من لجأ إليها على حياته	٢	و ٣، ١١ ، ١٧
إعـادة الذاكرة	٢	و ٥، ١١.
المجمـــــوع	١١	

استخلصنا من هذه الإطلالة الخاطفة مجموعة من الاستنتاجات منها:

- شغوف أغلب سكان المغرب الإسلامي بزيارة أضرحة الأولياء

و الصلحاء سواء كانوا من الخاصة أو العامة، وسواء كانوا رجالا أو نساء، صغارا أو كبارا.

- إن زيارة النساء أو بعض الرّجال لأضرحة الأولياء تكشف عن ضعف الإيمان، فبممارستهم السيئة سواء أثناء الزيارة العادية أو خلال الاحتفالات بمواسم الأولياء و الصلحاء، كانوا بعيدين كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وشعائره . وأجزم بعض الفقهاء أن حضور النساء والشبان ومن لا يخاف الباري تعالى كان يتسبب في عدد من المناكر والأمور الشنيعة.
- طلب الحاجة من الأولياء الأحياء أو الأموات، ضربا من ضروب

التخلف وقلّة الإيمان والأميّة خاصة عند النساء،إن الدافع الأساسي لزيارة المرأة للولي الصالح، تمثل في بحثها عن الحماية والقوة والأمان، تبقى إذن زيارتها لأضرحة الأولياء و الصلحاء اختيارا أساسيا للتعبير عن سخطها بدون قيود، وسبيلا لتحقيق ذاتها في إطار مقتصر على النساء ، والبحث عن الأمان والسعادة.

[٣٧]- الشاذلي : **مناقب عائشة**، و ٩.

خلاصة القول نستنتج النّقاط التّالية:

١. الحفاظ على موروث المخطوطات، و الشّعور بقيمته لأنّه أحد الوسائل التي تعرفنا بماضينا حتّى نستطيع التّعامل مع الحاضر و الاستعداد للمستقبل، و الحفاظ عليه يكون بدراسته و تحقيقه بطرق علمية و نشره ليكون في متناول الجميع، و كذا بتوعية النّاس بأهميّته لكونه يمثل جذور الحضارة العريقة.

٢. الحفاظ على الإرث الذي تعرض للضياع و الإهمال إما لجهل أو لضعف النّفوس أمام المغريات المالية التي يبذلها بعض الطّامعين في نهب التّاريخ الجزائري، و محو معالمه المميزة، وبالتّالي فالحصول عليه ليس بالأمر السّهل فهو يحتاج إلى جهد كبير.

٣. يعتبر مخطوط **"مناقب عائشة المنوبية "** للشيخ أبي الحسن الشادلي أحد المصادر المهمّة التي ألّفت في القرن السابع الهجري/ ١٣م، لكونه المُؤَلَّف الوحيد تقريبا الّذي يؤرّخ للمرأة في المغرب الاسلامي في هذه الفترة بالاضافة أنه يعد موسوعة يشتمل على العديد من المواضيع من علم
الاجتماع والتاريخ و الادب، و بالتالي فهو يحتاج إلى مزيد من الدّراسات.

٤. على الرّغم من أنّ مخطوط **" مناقب عائشة المنوبية "** لقي اهتمام العديد من الباحثين، فقاموا بدراسة و تحقيق بعض الأقسام منه، إلاّ أنّه لا يزال يحتاج إلى مزيد من الدّراسة و التّحقيق لما بقي غير محقّق من محتوياته المتعدّدة و المختلفة.

قائمة المصادر و المراجع:

أولا: المخطوطة:
١ـ الشاذلي،أبو الحسن: **مناقب السيدة عائشة المنوبية** ، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم ١٨٢٢١ .
٢ـ الدهماني، علي أبي يوسف: **الأسرار الجليّة في المناقب الدّهمانية**، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس.
ثانيا: المطبوعة:
٣ـ الكتاني: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ط حجرية ،١٣١٦هـ.
ثالثا: **المراجع:**
٤ـ التونجي محمّد: **المنهاج في تأليف البحوث و تحقيق المخطوطات**، عالم الكتب، حلب، ١٩٨٦.
٥ـ زيدان يوسف: **تراثنا التّراث المجهول إطلالة على عالم المخطوطات**، ط٢، دار الأمين طبع نشر توزيع، القاهرة ، ١٤١٨- ١٩٩٧.
٦ـ عبدالشكور نبيلة: **المرأة في الأمثال في المغرب الاسلامي**، نشر وتوزيع دار كنوز الحكمة ،١٩١٢، الجزائر.
GHRAB (S) **:IBN ARAFA et le Malikisme en Ifriqiya au 8h-14**,Tunis,1992.

Résume :

Le manuscrit intitulé « Biographie de Aicha El Manoubia » est considéré parmi les plus importantes sources conservées a la femme soufie au Maghreb islamique.

Ce manuscrit qui englobe 217 feuilles, et composé de 3 parties :

1- La première partie est consacrée aux recherches visant l'identification de la femme pieuse « AL WALIYA ASSALIHA ».
2- La deuxième partie correspond aux exemples relatifs aux qualités et dons qui distinguent cette femme pieuse « AICHA ».
3- La troisième partie est consacrée à la relation spirituelle de cette femme avec le prophète Mohammed (QSSL), ses compagnons et les gens du bien (AOULIAS ESSALIHINES).

لقاء الباحثة مع المقدمة " لالة أم محمد"
تشرح لها طريقة زيارة ضريح الولية المنوبية

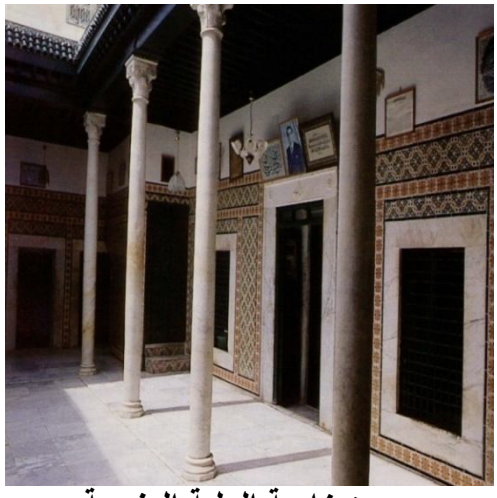

صحن زاوية الولية المنوبية
(محافظة منوبة، تونس) ـ انجاز الباحثة